الفصل الثاني

سياسات التراث
THE POLITICS OF HERITAGE

إن الافتراض الأساسي لهذا الفصل يتمثل في أن التراث، وما يتضمنه من دلالات ومعان، ما هو إلاّ مفاهيم سياسية متوارثة. حيث تفسر المجتمعات، والمجموعات الثقافية، والحكومات بالإجماع، الماضي بطريقة موضوعية تلبي أفكارها ومعتقداتها الذاتية (Barthel 1990; Graham 1998b; Hobsbawm and Ranger 1983; Lowenthal 1985). في كلمات جونسون (Johnson 1999: 187): "إن السياحة التراثية ليست مجرد مجموعة من الصفقات التجارية، ولكنها الصياغة الفكرية للتاريخ والهوية".

تتمحور السياسة في جوهرها حول السلطة، والتراث بحكم طبيعته هو ظاهرة سياسية؛ لأن التاريخ دائماً ما يُفَسّر من منظور المنتصرين في الحروب، والذين في مواقع السلطة (Hall 1994, 1997, 2000b). وهكذا، فإن هوية المكان دائماً في حالة من التحول في خضم تعدد "الصراعات السياسية والثقافية والاقتصادية على معنى الماضي" (Hubbard and Lilley 2000: 223). وفقاً لبولد (Bold 1994) فإن تسجيل المباني التاريخية، هو فعل سياسي يُعرّف بتصورات ذات أهمية تاريخية.

تمت المحافظة على أفكار خاصة، ومن ثم عرضها على السياح من خلال المتاحف، والقصور والمواقع التاريخية والآثار، والجولات، والمناطق التراثية، والمناظر الطبيعية السياحية، وغيرها من الأماكن العامة (Hall 2003). إن النظرة السياحية ليست نظرة محايدة سياسياً، لأنَّ تمثيل التراث في السياحة يمكن أن يضفي الشرعية على القيم والهياكل الاجتماعية السياسية (Hall 2003). وعليه، بحكم تعريفه، فالتراث هو تمثيل للقيم، وغالباً ما يتم استخدامه (عن قصد أو غير ذلك) لمعالجة، أو استبعاد، أو إعادة اكتشاف الماضي (Norkunas 1993; Shaw *et al.* 1997).

وفقاً لأشورث (Ashworth 1995)، يشمل التراث خيارات من مجموعة واسعة من الماضي، والكثير منها لم يتم اختياره. وفي النهاية، فإن ما يحفظ من التراث يعتمد، بصورة أساسية على أفكار أولئك الذين في السلطة. بعض الأعمال الفنية ستصبح تراثاً، بينما بعضها الآخر سيتم التخلص منه (Graham 1994a: 135). على سبيل المثال، حتى وقت قريب، استبعدت السياحة التراثية والتراث بشكل عام، ماضي الضعفاء والأقليات في المجتمع، وفضلت بدلاً

عن ذلك الأعمال الفنية، وأماكن وأحداث نخبة الطبقة العليا، مثل: القلاع، والكاتدرائيات، والقصور. وقد تم تجاهل بقايا حياة العوام عموماً. وقد ناقش نوركوناس (Norkunas 1993: 97) أن "الطبقة الحاكمة سيطرت بشكل حذر على شكل الإبداعات التاريخية ومضمونها، والمناظر الطبيعية السياحية، مضفية الشرعية عليها من خلال إبراز قيمها الاجتماعية الثقافية المعاصرة على الماضي". وقد كان هذا واضحاً بصفة خاصة في الدول النامية، حيث جرت العادة بعرض الأماكن المرتبطة بالنخب الحاكمة وغيرها من الطبقات الراقية للسياح، وذلك على حساب الأعمال الفنية التي تصور حياة الفلاحين (Boniface and Fowler 1993). ومع ذلك، وبما أن جمهور المسافرين أصبحوا أكثر إدراكاً للدور الذي قام به عامة الناس، على طول التاريخ، فقد زادت شعبية كل ما تبقى من آثار الماضي (مثل القرى، والأكواخ الصغيرة، والمنشآت الصناعية، وبيوت المزارع، وورش العمل) كجواذب سياحية، وتم تحسين دور الشعوب الهامشية (Hollinshead 1992).

وإزاء هذه الخلفية، يبحث هذا الفصل في الموضوعات المتصلة بالسلطة في السياحة التراثية، والتي يمثل فيها فقدان الذاكرة المجتمعية (استبعاد التراث)، ومحو الماضي المهيمن، والماضي المتناقض والمتنافر، واستخدام دعاية التراث لإيجاد قومية المكان وصورته، وهذه الموضوعات تمثل النتائج الأولية. ويتناول هذا الفصل أيضاً الصراع السياسي وأثره عليه والمحافظة على التراث، مع التركيز على التراث كهدف مقصود لذاته. والتركيز على التراث كمورد مشاهد. كما ستناقش مشاركة المجتمع، وسبل السيطرة على السياحة التراثية كقضية سياسية مهمة. فهي قضية سياسية؛ لأن عملية تسمية التراث وحمايته وتفسيره يجب أن تنطوي على تمكين الناس ومشاركتهم في ما يمكنهم فهمه، والسيطرة على جوانب تراثهم (Marks 1996).

فقدان الذاكرة الجماعية والماضي المستبعد
Collective Amnesia and the Excluded Past

يعكس التراث المعروض للسياح، في الكثير من المواقع، ما وصفه بعض المراقبين بفقدان الذاكرة الجماعية. وهذا له مدلول النسيان المتعمد لبعض جوانب الماضي، مشيراً إلى حقيقة أن مجتمعات بأكملها يتم تجاهلها، واستبعادها أو قمع جوانب معينة من تاريخها لأنها غير مريحة، ومحرجة، أو لأنه من خلال القيام بذلك، يمكن للمجتمع وقادته تحقيق بعض الأهداف السياسية والفكرية، وفي كثير من الأحيان مع وجهة نظر عنصرية. يطلق أشورث (Ashworth 1995) على ذلك لفظ "الحرمان" disinheritance، حيث تُهمَل بعض الجماعات العرقية والاجتماعية أثناء كتابة التاريخ. أدى فقدان ذاكرة المجتمع هذا إلى استبعاد كثير من التراث المتنوع في جميع أنحاء العالم من عمليات الحفاظ والتوثيق، وتم إخفاؤه بعيداً عن أنظار السياح (Boniface and Fowler 1993; Graham 1996; Leong 1989; Powell 1997; Robinson 1999a).

"إن التاريخ الذي هو جزء من المعرفة أو فكر الأمة، والدولة، والمجتمع، أو حركة ما، ليس بالضرورة ما تم صيانته حقيقة من خلال الذاكرة الشعبية، ولكن ما تم اختياره، وكتابته، وتصويره، وتعميمه، وتأسيسه من خلال ما لديهم من القدرة على القيام بذلك ... ولذلك يمثل التراث قوة المنتصرين" (Hall 1997: 95).

إنَّ أحد الأساليب الرئيسة المستخدمة لاستبعاد بعض آثار ماضٍ معين هو عن طريق التعليم والمناهج الدراسية الرسمية. ذكر ماكنزي وستون (MacKenzie and Stone 1990: 3-4) أربعة أسباب أساسية لـ"استبعاد الماضي" من التعليم:

- المناهج المدرسية مكتظة بالفعل، ويناقش قادة التعليم أن الوقت لا يسمح بطرح موضوعات "جديدة" عند وجود مناهج طويلة (مثل الرياضيات والدراسات الاجتماعية).
- أتاح جهل المعلمين استبعاد بعض الجوانب المهمة من الماضي. فكثير من الكتب المدرسية، على سبيل المثال، تتجاهل المفاهيم المعاصرة للماضي.
- دراسة بعض الماضي يعدّ جزءاً من الكماليات التي لها علاقة غير مباشرة مع مجتمع اليوم.
- يتم استبعاد جوانب الماضي عمداً في بعض الأحيان لأسباب سياسية أو فكرية.

في حين أن لهذه الأسباب جميعها نبرة سياسية، فإن العنصر الأخير (الاستبعاد لأسباب سياسية أو فكرية)، هو الأكثر إثارة للقلق في هذا الفصل. فمن خلال التعليم تستطيع المؤسسات المهيمنة، استناداً إلى أهدافها الفكرية، أن تكشف ما هو متجانس، وتتجاهل ما هو غير ملائم أو ما يعارض ما يريدون من الجمهور معرفته (Gawe and Meli 1990: 101).

أحد أفضل الأمثلة على فقدان الذاكرة المتعمد أو الماضي المستبعد، يوجد في الولايات المتحدة، في العلاقة بين الشعوب الأصلية والمهاجرين البيض (الأوروبيين). وفقاً للتدريس التقليدي في المدارس الأمريكية، بدأ تاريخ الولايات المتحدة بمجيء "الرجل الأبيض"، وهو في هذه الحالة كريستوفر كولومبوس، الذي "اكتشف" الأمريكتين في العام ١٤٩٢م. هذه النظرة الأوروبية المعلنة في مجملها تتجاهل تماماً آلاف السنين من الاستيطان البشري في أمريكا الشمالية، قبل والوصول الأوروبي (Boniface and Fowler 1993). هذا واضح بصفة خاصة في كتب التاريخ المدرسية، والتي تكرس ١٠-١٥ صفحة فقط لتغطية الحياة في أميركا قبل الاستيطان الأوروبي، ومئات الصفحات للفترة التي أعقبت وصول كولومبوس، والتي - وفقاً لكيهو (Kehoe 1990: 201) - تعبر عن النظرة الأمريكية الاجتماعية السائدة للماضي: "فأمريكا بالكاد كانت موجودة قبل الاستعمار الأوروبي". هذه كانت نظرة غير وطنية للماضي منذ القرن الخامس عشر الميلادي، وفكرة أن الشعوب الأصلية يمكن أن تكون قد ساهمت بأي شيء لتطوير المجتمع الأميركي تعدّ فكرة جاهلة أو ثورية (Blancke and Slow Turtle 1990). إن إنزال مرتبة الهنود الأمريكيين، في الأدوار النمطية باعتبارهم شعباً همجياً متخلفاً، في نظر التاريخ الرسمي ووسائل الإعلام

الهوليوودي كان لفترة طويلة محور لعب الأطفال، واستمراراً لمخاوف الطفولة من هؤلاء "الهمجيين المتخلفين" (Blancke and Slow Turtle 1990: 109). ولهذه المعاملة لتراث السكان الأصليين وما تستتبعه من القوالب النمطية، جذورها في الأسطورة الوطنية "القدر الجلي"، حيث تورط المسيحيون الأوروبيين في إخضاع الأرض، وكانت لهم السيطرة على جميع الكائنات الحية عليها (Keboe 1990: 202). تعكس هذه النظرة "الاستكشافية" للاستيطان الأمريكي التفوق الأناني المتجذر في الحضارة الغربية. هذا النوع من المعاملة لتراث الشعوب الأصلية، أصبح موجوداً في كل مكان من العالم تقريباً، ومع أية جماعة عرقية مستعمرة (Holland 1990; Jones 1997).

ظروف مماثلة موجودة منذ فترة طويلة في معاملة تراث الأمريكيين والبريطانيين من السلالة الأفريقية. لقرون، كان التراث الأسود مختفياً بعيداً عن نظر الجمهور في كل من الولايات المتحدة وبريطانيا العظمى. ومنذ إلغاء الرق، أصبحت المسألة بمثابة إحراج لكلا البلدين، وقد اختارت الأغلبية السياسية المنتخبة (البيضاء) أن تعمل على إبقاء الماضي الأفريقي بعيداً على مسافة كبيرة. لم تنته المعاملة غير الإنسانية وغير المستحبة للأفارقة على أيدي الأمريكيين والأوروبيين البيض بإلغاء الرق، ولكنها استمرت بشكل كبير خلال القرن العشرين في الكثير من الأماكن. ويعدّ قمع التراث الأسود في كلا الدولتين حتى وقت قريب دليلاً على ذلك. غير أن الأميركيين الأفارقة والبيض على حد سواء، قد بدؤوا أخيراً في إدراك الحاجة إلى إحياء هذه العناصر المنسية من التاريخ؛ مما أدى إلى زيادة الاهتمام بصيانة وتفسير عناصر تراث العبودية وتركات الأفارقة-الأمريكيين والبريطانيين اللاحقة (Hayes 1997). لقد أصبح التطور السريع لجواذب تراث السود في الولايات المتحدة في السنوات الأخيرة مؤشراً على تغيير هياكل السلطة في ذلك البلد (Morgan and Pritchard 1998; Pritchard and Morgan 2001) وقد ساهم إلى حد كبير من خلال ضغط الأفارقة-الأميركيين "في إعادة كتابة التاريخ من منظور غير متحيز ضد الأفارقة-الأمريكيين وإن لم يكن إيجابياً تجاههم" (Boniface and Fowler 1993: 19). وبالرغم من أنه، حتى العام ١٩٩٠م، لم يكن هناك أي نوع من المؤسسات الوطنية المسؤولة عن صيانة وجود السود وتوثيقه في بريطانيا العظمى، إلاّ أنه كان هناك جهود في طريقها لإنشاء متحف للمحفوظات الثقافية للسود لاستيعاب الأعمال الفنية والوثائق وغيرها من الأشياء ذات الصلة بالوجود الأفريقي في المملكة المتحدة (Garrison 1990: 231).

في جميع أنحاء أمريكا الشمالية، ظهر التراث المتصل بالرق الأفريقي كجواذب سياحية رئيسة في أماكن مثل: بيرشتاون، ونوفا سكوتيا، في كندا، حيث وصل بعض المستوطنين السود الكنديين قبل أكثر من ٢٠٠ سنة مضت، والتي قد تحولت إلى مقصد سياحي مهم. وقد تم التخطيط لإنشاء مركز للسياحة التراثية الأفريقية، وكنيسة ومدرسة في موقع بيرشتاون (Globe and Mail 2000). وتتم رواية قصة السكك الحديدية تحت الأرض، من خلال إنشاء مسار تراث أسود في بلدة برانت، أونتاريو، التي قامت بدورٍ رئيسٍ في تهريب الرقيق إلى كندا. ويتتبع مسار تراث السود، وحياة الأفراد القياديين في المجتمع الأفريقي، الذي تشكل في بلدة برانت، ويروي قصصاً عن تشغيل خط السكك الحديدية

تحت الأرض (Boyd 2002a). وهناك جهود مماثلة في جنوب شرق الولايات المتحدة. على سبيل المثال، فقد تم ترميم بيوت الرقيق وإعادة بنائها في المزارع في ولاية فرجينيا وغيرها من ولايات الجنوب. حتى الآن، تركز السياحة على المزارع، بصفة رئيسة على القصور وحياة أصحاب الأراضي الأثرياء البيض ومالكي الرقيق.

تبذل مع ذلك اليوم خطوات كبيرة لسرد "القصة كلها"، بما في ذلك الظروف القاسية ومعاملة العبيد. ووفقاً لأحد مشرفي الإرشاد في جبل فيرنون بولاية فيرجينيا، "لم يكن مريحاً في السبعينيات من القرن الماضي التحدث عن الرقيق. اليوم، إنه مجرد جزء مما نقوم به. إنه جزء من التاريخ، وعليك أن تعرضه" (نقلت من: Smith 2000: 16). تتخذ ولاية فيرجينيا، واحدة من أول مقاصد أمريكا الشمالية للعبيد القادمين من أفريقيا، خطوات أكبر في مجال ترويج التراث الأفريقي-الأمريكي، وتكشف كيف كانت حياة العبيد، وكيف يمكن أن يتم هذا في السياق الجديد. تشمل مواقع الأفارقة-الأمريكيون في ولاية فرجينيا الأماكن التاريخية للحروب الثورية والحروب الأهلية، ومنازل السود الأميركيين البارزين، ومساكن الرقيق المرممة، وأسواق الرقيق في الهواء الطلق المعروضة (النخاسة) بأفراد مرتدين ملابس تلك الفترة، وطرق بيع الرقيق، ومتحف تاريخ الأفارقة الأمريكيين، ومتحف روبرت ر. مورتون Robert R. Morton Museum: مركز دراسات الحقوق المدنية في التعليم، ومتاحف أخرى كثيرة (Bartlett 2001).

ويوجد استبعاد عرقي مماثل، منذ فترة طويلة في الولايات المتحدة الأمريكية تجاه السكان من أصل أسباني، ومن أمثلتها مجمع ألامو Alamo في سان أنطونيو بولاية تكساس، الذي تم تشكيله ثقافياً باهتمامات إنجليزية؛ لتحقيق الانسجام مع المفاهيم السائدة للإنجليز "نحن"، واللاتينية "هم" (de Oliver 1996: 19). ومع ذلك، وبشكل مماثل مع تراث الأفارقة-الأمريكيين، بدأ الاعتراف بماضي أمريكا اللاتينية وثقافاتها في الدوائر الرسمية باعتبارها جزءاً مهماً من التراث الوطني الجماعي.

جنوب أفريقيا: دراسة حالة
Case Study: South Africa

الولايات المتحدة والمملكة المتحدة ليستا الدولتين الوحيدتين اللتين يجب أن تتعاملا مع الماضي المستبعد عرقياً. فعلى سبيل المثال يستبعد تراث جنوب أفريقيا ماضي الأفارقة السود. فقد فشل تاريخ التمييز العنصري في الاعتراف بوجود أفريقي في كثير من أنحاء البلاد، وقد حاولت سياسة تفضيل العمال الملونين في الستينيات إبعاد عمال أفريقيا بالكامل من منطقة كيب الغربية من البلاد. "وفي هذه العملية، تم تناسي الوجود الأفريقي تماماً" (Worden 1996: 65). تم التلاعب بالتاريخ في جنوب أفريقيا، لتبرير عدم الإنصاف في توزيع الأراضي وإنشاء السلطة المستبدة للبيض على الأفارقة الأصليين، وفقاً للتاريخ الرسمي (قبل عام ١٩٩٤م) "كان وصول البيض والملونين هو الذي جلب السلام

إلى أرض شعب معادٍ للطرفين وغير قادر على التعايش معاً في وئام" (Gawe and Meli 1990: 103). وقد أيدت نظرة البيض مفهومين: (١) كان البلد "أرض فضاء" حيث يمكن للرواد الأوروبيين وضع جذورهم فيها، و (٢) لا يمكن أن يكون هناك تراث مشترك في مكان منقسم بين عرقين (Warden 1997).

مع مجيء الديمقراطية لجنوب أفريقيا، ونهاية سياسة التمييز العنصري في العام ١٩٩٤م، أصبح تراث السكان الأصليين، الذي كان متجاهلاً من قبل، محط الأنظار، وبدأت الجهود المبذولة لإحيائه وصيانته وترويجه. وقد بدأ أمناء المتاحف والباحثون ومنظمات المجتمع في تصحيح التحيزات العرقية والثقافية، التي كانت قائمة منذ فترة طويلة. وكانت المبادرات، مثل إعلان مجلس الآثار الوطنية، منزل سول ت. بلاتجي Sol T. Plaatje (كاتب من السكان الأصليين وسكرتير الكونجرس الوطني المحلي لجنوب أفريقيا) نصباً وطنياً، رائدة في هذا الصدد، لأنه أول متحف في البلد لإحياء ذكرى حياة شخص أسود. مبادرة أخرى تكمن في تأسيس متحف الكواموهل KwaMuhle في دوربان، حيث تصور مشاهد من الحياة اليومية في الضواحي، التي يقطنها السود مع إيضاح أوضاع خاصة باتحادات التجارة السياسية، والمنظمات الثقافية، في ظل نظام الفصل العنصري (Goudie *et al.* 1996: 71).

إنَّ شكل التمييز العنصري المستبعد، يعني أن مجلس الآثار الوطنية تقليدياً قد أكد أن المباني والأماكن التراثية التي مثلت التراث الاستعماري أكثر من تراث السكان الأصليين. في العام ١٩٩٠م، على سبيل المثال، كانت ٩٧٪ من جميع المعالم المعلنة ممثلة لقيم المجتمع الأبيض المهاجر (Worden 1997: 46). نتجت عن هذه الحقيقة مشكلات في فترة ما بعد الفصل العنصري، في جنوب أفريقيا، في مجال ترويج السياحة التراثية، نظراً لصعوبات إنشاء أسواق سياحية جديدة، ومواقع تراثية ذات أهمية (Goudie *et al.* 1996, 1999).

توجد أمثلة كثيرة مماثلة في جميع أنحاء العالم. في ألمانيا النازية، على سبيل المثال، تم بناء آلاف من المتاحف لتعزيز أسطورة العرق المتفوق. كما خطط أتباع هتلر "متحف العرق الزائل"، لعرض المغانم اليهودية، وإظهار نجاح "الحل النهائي" (Cameron 1995: 52). في الثمانينيات من القرن الماضي أعلنت الحكومة الماليزية أن ياب آه لوي Yap Ah Loy، وهو مهاجر صيني أسس قرية أصبحت فيما بعد تسمى "كوالالمبور"، لم يعد مؤسس العاصمة. وبدلاً من ذلك، حددت المصادر الرسمية المواطن راجا ملايو كمؤسس حقيقي للمدينة. مع هذا العمل، أُخفي دور الأقلية الصينية (Carrier 1996: 50). وبالمثل، مع قلة الأدلة من المصادر الأثرية في أفريقيا، تمكن علماء الآثار الغربيون من إنكار مطالبة الشعب الأفريقي بآثارهم التاريخية الخاصة. المستعمرون يرونها مناسبة لدحض الأصل الأفريقي لموقع زيمبابوي العظمى، عن طريق تطوير النظريات التي اقترحت أن بناتها كانوا الفرس، أو الفينيقيين، أو البرتغاليين، أو العرب، أو الصينيين (Garrison 1990: 235). وأخيراً، تمارس سلطة

المتنزهات القومية في إسرائيل منذ فترة طويلة عدم المساواة في المعاملة للعرقيات اليهودية والفئات الاجتماعية المختلفة، ووفقاً لبومان (Bauman 1995: 21)، "طالبت بتجاهل الوجود الفلسطيني ونسيانه".

بالإضافة إلى العرق، أُبْعِدَ ماضي القطاعات الأخرى في المجتمع، لفترة طويلة من نطاق التفسير، أو حتى التراث المقبول. في انتقاده لمتحف بيميش Beamish، في إنجلترا، ناقش بينيت (Bennett 1998: 67) أن المتحف قد تجاهل تماماً الحركات الاتحادية العمالية والتجارية المهمة في المنطقة، فضلاً عن الأنشطة التي تضطلع بها المرأة في التصويت والحملات النسائية. لقد دأبت صناعة التراث في الماضي على الترويج لقاعدة القوة المهيمنة، بالتركيز على الرجال العظام في التاريخ، بينما تغفل النساء، والأطفال، والمعوقين، والأقليات العرقية، الذين عادة ما يصورون بشكل نموذجي كشخصية محورية تقدم الدعم للذكور (Hubbard and Lilley 2000; McLean 1998). مجموعات حديثة اجتماعية، مثل اللاجئين والغرباء على التاريخ (مثل الصوماليين في شمال أوروبا)، تعدّ من عوارض التاريخ الانتقائي. فماضيهم ليس ماضياً في الأرض الجديدة، حيث إنهم عادة ما استبعدوا من مجرى التاريخ وتفسير التراث (Tunbridge 1994; Worden 1996). هذه النسخة الانتقائية من التراث تدل على تاريخ مفاهيم الهيمنة فيما يتعلق بالطبقة، والعرق، والجنس (Waitt and McGuirk 1997: 350). في الواقع،

> هناك أكثر من اقتراح خاص بنقص الديمقراطية في عملية نسب المعنى والقيمة، حيث العملية – في حد ذاتها – تُخفى عن أنظار الجمهور، أو تُبلغ بشفرات مهمة مسيطرة. هذه دائماً ما تكون لصالح الطبقات المتميزة ... مع تجاهلهم للصراع الطبقي، وعدم المساواة بين الجنسين، والتركة العرقية (West 1988: 51-2).

محو الماضي المهيمن
Erasing the Dominant Past

خلال منتصف القرن الماضي، قامت كثير من القوى العظمى الاستعمارية الظالمة والإدارات الاستبدادية، التي استخدمت وحشية لا توصف أثناء فترة حكمها، وسنت تدابير صارمة لقمع الخاضعين لها، بمنح الاستقلال لمستعمراتها السابقة، وأفسحت الطريق للمجتمعات الديمقراطية الرأسمالية. من خلال التحرر عملت الكثير من السلطات التنفيذية الجديدة على محو الماضي المهيمن، ورغبت بعض الدول الجديدة في محو السجلات والعلامات الخاصة بتلك التركة المؤذية، والظالمة، وفي بعض الأحيان المحرجة.

في حالة أوروبا الشرقية، في أوائل القرن العشرين ومنتصفه، تم تشييد الآثار وحفظها حول ثلاثة موضوعات أساسية: صروح مرحلة ما قبل الاشتراكية، والاشتراكية، والصروح الدينية. هذا التركيز من جانب الدول الشيوعية

سمح للقادة بالترويج لدى شعوبهم ضد الفاشية، والحزبية والتمييز الطبقي، فضلاً عن تسليط الضوء على أهمية مساقط رؤوس المفكرين الاشتراكيين القادة و"التحرير" من قبل الجيش السوفييتي (Carter 1982). في وقت لاحق، وبعد انهيار الشيوعية في أوائل التسعينيات من القرن الماضي، حاولت الأفكار الجديدة الحاكمة كشف حجاب الشيوعية السابقة وبقاياها من المناظر الطبيعية، التي تتألف من الآثار، والأماكن، وأسماء الشوارع، والتماثيل العامة. فإزالة هذه العناصر أو هدمها، وإعادة تسمية الأماكن، هي مؤشر على أن هذه التغيرات شديدة الانفعال. فمن المعتقد أن هذه المساعي سوف تساعد في الشفاء من صدمات الحقبة الشيوعية والانقسام الاجتماعي. ومع ذلك، هناك تحركات قوية لصيانة بعض من الماضي الشيوعي – على الأقل – حتى تنشأ تعددية للتراث. جزء كبير من النضال الحالي بين الإدارات الجديدة خاص بمقدار التراث الذي ينبغي إزالته، وما ينبغي أن يحل محله (Ashworth and Tunbridge 1999: 107-8). هذه المعضلة صعبة في اقتصاديات السوق الناشئة في وسط أوروبا وشرقها، فهي مضطرة للاختيار بين الهوية والاقتصاد (Hall, D.R. 1991; Hall, C.M. 1994; Tunbridge 1994) إنهم يريدون الهوية لإعادة البناء، أو على الأقل تجاوز ماضيهم لعكس المثل الوطنية الجديدة والاقتصاد، لأن ماضي الشيوعية هو مورد تراث سوقي يجذب السياح وينتج الإيرادات (Light 2000b). بالنسبة لدول أوروبا الوسطى والشرقية، فإن الأولوية الرئيسة في هذا الصدد هو "وضع الفترة الشيوعية وراء ظهورهم إذ تعدّ الآن على نطاق واسع بمثابة انحراف تاريخي" (Light, 2000b: 159). توصلت بودابست إلى حل فريد نوعاً ما، للخروج من هذا المأزق. ففي العام ١٩٩٠م، صوت مجلس مدينة بودابست لنقل ما يقرب من ٤٠ من تماثيل سياسية من حقبة المجر الشيوعية إلى متنزه قريب من أطراف البلدة، والتي أصبحت منذ ذلك الحين واحدة من أهم جواذب المنطقة السياحية (Light 2000a). وقد لخص لايت (Light 2000a: 154) حالة المحو في سياق رومانيا على النحو التالي:

> "على الرغم من أن ماضي رومانيا الشيوعي السابق، هو مصدر اهتمام السياح الغربيين المتطلعين، يرى الرومانيون هذه الفترة من تاريخ بلدهم من خلال عيون مختلفة جداً. وبنظرة خاصة للتجربة الدكتاتورية القاسية، والتقشف الاقتصادي، والقمع المنظم، فمعظم الرومانيين حريصون على رسم خط تحت الفترة الشيوعية. فقد هيمن الإصلاح، وبناء رومانيا "الجديدة" على الخطاب السياسي منذ العام ١٩٩٠م ... وتبعاً لذلك، كان هناك القليل من الاكتراث للإبقاء على الإرث المادي للفترة الشيوعية. بالنسبة للرومانيين كان هذا تذكير غير مرغوب فيه للنظام السابق. وبدلاً عن ذلك، وفي أوائل فترة ما بعد الشيوعية، كان هناك جهد متضافر لمحو كل أثر مادي، بقدر ما كان ذلك ممكنا، من نظام تشاوسيسكو Ceauşescu. بعض أبرز الأمثلة على ذلك إزالة اللافتات عن المصانع التي تثني على تشاوسيسكو، وإسقاط تماثيل للقادة الشيوعيين، وعلى نطاق واسع إعادة تسمية الشوارع الفردية والمستوطنات الكاملة على حد سواء، والتي كانت أسماؤها من بقايا النظام السابق".

بعد نصف قرن من الحرب العالمية الثانية، لا تزال ألمانيا تحاول تجاوز الفترة المخزية للحكم النازي، وهناك مناقشات متواصلة حول تحديد أفضل السبل للحفاظ على بعض التراث الجدلي من تلك الحقبة (Ashworth 1991). وبالمثل، في بعض المراكز الحضرية بماليزيا، يحاول المسئولون إعادة كتابة التراث المحلي بالتركيز على الملايو وإهمال (أو تدمير) علني للسمات الاستعمارية (Shaw, et al. 1997). هذا أمر متوقع، لأنه – وفقاً لجراهام (Graham 2000: 77) – فإن عملية بناء الأمة في كثير من الأحيان "تنطوي على الكثير من نسيان الماضي كإحياء ذكراه".

التراث الخلافي أو المتنافر
Dissonant and Contested Heritage

قدم كل من تانبردج وأشورث (Tunbridge and Ashworth 1996: 20) دراسة شاملة للتنافر في سياق التراث، والتي حدداها بـ "خلاف أو عدم وجود اتفاق واتساق" في فهم وتصور ماهية التراث. عندما تكون المجتمعات معقدة ومتعددة الأبعاد العرقية والاجتماعية، فمن المؤكد أن هناك قدراً من التنافر والخلاف فيما يتعلق بمعالجة التراث. في هذه الحالة، تثار كثير من الأسئلة دائماً حول المجتمعات المحلية التي يجري النظر فيها، ومن يمثلها، وهل تتعارض مصالحها مع تلك الموجودة في المجتمعات الأخرى (Ashworth 2003; Graham 1996). وكما ينطوي الحفاظ والتفسير على عرض الرسائل، ينشأ التنافر أو الخلاف أحياناً بين المجموعات التي تشترك في التراث نفسه (Charlesworth 1994; Graham 1996; McBryde 1995; Olsen 2000; Tunbridge and Ashworth 1996).

حدد أولسن (Olsen 2000) ثلاثة أنواع من التراث الخلافي. الأول، ينطوي على اثنين أو أكثر من المجموعات، التي تطالب بالتراث نفسه أو تشترك فيه. هنا، للأماكن نفسها معاني مختلفة لمجموعات مختلفة، وكل مجموعة تعتقد أن وجهة نظرها الصحيحة، في حين أن نظرة تلك المجموعات الأخرى ليست كذلك. أعطى لونثال (Lowenthal 1996) مثالاً في مناقشة كيف تفاقم النسخ المختلفة للتاريخ الهندي العلاقات بين الهندوس والمسلمين. "فالباكستانيون يعدّون نهرو مستهتراً ضحلاً، وغاندي منافقاً؛ ويصور الهنود باكستان جرثومة أسفر عنها أمراء الإقطاعيات والتجار الجشعون، وأن مؤسسها، جناح Jinnah، غربي انتهازي وجاسوس لبريطانيا" (Lowenthal 1996: 235). في حين تتقاسم كلا المجموعتين التراث الاستعماري والمحلي نفسه، فوجهات نظرهم وتفسيراتهم لهذا التراث قد أدى إلى خلاف بين المجموعتين (Olsen and Timothy 2002).

أما النوع الثاني للتراث الخلافي فهو الانقسامات داخل مجموعة واحدة. في بعض الحالات توجد انقسامات داخل مجموعة ما حول جوانب التراث، التي يجب إبرازها ومشاركتها مع الجمهور. يطلق تانبردج وأشورث (Tunbridge and Ashworth 1996: 29) على هذا التقسيم مصطلح "انتقال غير مرغوب فيه"، عندما تكون هناك "رسائل لم يسمع عنها المجتمع أو أقسام منه في الواقع أو تسمح للآخرين بالاستماع إليها". يلاحظ

لونثال "أن ما لا يسلط التراث عليه الضوء يكون خافياً". وبهذه الطريقة، "يشكل التراث ماضياً مطوقاً" من خلال الاحتفال [ببعض جوانب من التراث]، ونسيان أخرى (Lowenthal 1996: 162). وقد أعطى لونثال مثالاً على ذلك، حيث أبدت رابطة للمرأة في بلدة صغيرة في كاليفورنيا رغبتها في إحياء ذكرى الذين عملوا عاهرات هناك، خلال تدفق الذهب، مع تخصيص لوحة تذكارية. عارض مجلس المدينة هذا الإجراء؛ لأن الأعضاء خجلوا من مشاركة هذا الجزء من ماضيهم مع الغرباء.

النوع الثالث من التراث الخلافي هو السكان الأصليون ضد الاستعماريين، التي تشير في الحقيقة إلى مجموعتين مختلفتين لديهما تراث متوازٍ، وغالباً ما تثور التساؤلات حول ماهية التراث الذي ينبغي صيانته. كان هذا المجال من الخلاف مجال تركيز لدراسات فترة ما بعد الاستعمار المعنية بتفسير التراث الاستعماري واستخدامه في مناطق بدأ السكان الأصليون فيها بإعادة اكتشاف أنفسهم وتأكيد هوياتهم الجماعية. وهذا أدى إلى تطوير نوع من المناخ يسود فيه التنوع الثقافي، والعرقي، وحساسيات الثقافات المتعددة (Tunbridge 1998b). في كثير من الحالات، "للشعوب الأصلية تاريخها من الاستغلال وسوء الاستخدام المستمر لحقوق الإنسان، لا تزال مستمرة في الوقت الحاضر" (Sofield and Birtles 1996: 412).

مجموعات متعددة تشترك في التراث نفسه Multiple Groups Sharing the Same Heritage

من الشائع، أن أسباب وجود أنواع كثيرة ومختلفة من الأحداث الفردية ترجع لتفسير المجموعات المختلفة لها. فالمعارك بين الأمريكيين الأصليين والمستوطنين البيض، على سبيل المثال، لها وجهات نظر تفسيرية مختلفة، عندما يتم سردها من كل من الجانبين. يحكي بوشهولتز (Buchholtz 1998) أن هذه الحالة ترجع إلى قيام مصلحة المتنزهات الوطنية الأمريكية والهنود المنادين بإعادة تشريع أحداث كستر لاست ستاند في معركة ليتل بيجهورن. وتتم جدولة الأحداث في اليوم نفسه في نهاية الأسبوع في الوقت نفسه تقريباً، ولكن لكل منهما نسخة منفصلة للحدث الأصلي. يصف الحدثان الكثير من الحوادث التاريخية نفسها، ويرغب كلاهما في عرض استنساخ أصلي، على الرغم من أن كل جانب يحكي قصة مختلفة بعض الشيء. وبالمثل، فإن الخلافات موجودة في ملابس الهنود، والزي الرسمي للفرسان، ومعدات ركوب الخيل، وحتى أماكن وقوع الأحداث، وهناك فوارق ملحوظة في عدد السكان والوفيات التي حدثت.

يحدث هذا الشكل من التنافر عندما توزع النماذج المنافسة ذات المفهوم الاجتماعي، معاني مختلفة للأعمال الفنية نفسها، والأماكن والأحداث (Graham 1996: 12). وتعدّ "ستونهينج" Stonehenge واحدةً من أشهر الأمثلة على ذلك. فالقيمة التراثية لـ"ستونهينج" تشكل معاني مختلفة لعدة مجموعات، كل واحدة تريد شيئاً مختلفاً عنها. يملك التراث الإنجليزي "ستونهينج"، وتملك مؤسسة الاتحاد الوطني ١٥٠٠ فدان

المحيطة بها، وتملك وزارة الدفاع مساحات واسعة في المناطق المجاورة لها على سهل سالزبوري (Addyman 1989; Bender and Edmonds 1992; Crouch and Colin 1992; Fowler 1992). غير أن هذا ليس هو المصدر الوحيد للخلاف. فهناك آراء متباينة حول الحفاظ واستخدام الموقع، وخاصة للأغراض العلمية والدينية والسياحية. يريد الدرويد Druids، الذين يدعون أن الموقع تراث روحي خاص بهم، الوصول إليه عند انقلاب الشمس الصيفي، بينما يريد العلماء الوصول إليه باستمرار حتى يتمكنوا من دراسة أصوله، ويرغب السياح في الوصول إليه للتمتع بالتراث.

الادعاء الحالي للقدس وأماكنها المقدسة بين اليهود والمسلمين والمسيحيين، هو بالتأكيد واحدة من أكثر مواقع التراث الخلافي تهيجاً، التي تشهد تنافساً شديداً في العالم. هنا على وجه الخصوص، كلمات لتونبردج (Tunbridge 1984: 171) ذات صلة: "إن المعلم البارز لشخص، قد يكون شيئاً ... معاداً للآخر". ويوجد خلاف مماثل ذو دوافع سياسية في إيرلندا الشمالية بين الكاثوليك والبروتستانت، وكذلك في جمهورية إيرلندا هناك صراع علني بين التراث الإنجليزي والغيلي Gaelic (Boyd 2000b; Graham 1994a, 1998a). أحد السبل لتخفيف هذا الخلاف، هو التركيز على كيفية تذكر الأحداث من قبل مختلف فئات المجتمع. في مسألة إيرلندا الشمالية، لا يحيي مركز تراث السوم ذكرى التكاليف التي دفعها الوحدويون البروتستانت لبريطانيا خلال هذه المعركة وحدها في الحرب العالمية الأولى، لكنه يشمل ذكرى القوميين الذين حاربوا وفقدوا أرواحهم. عن طريق توسيع التراث إلى المعركة نفسها، ومن ثم القضاء على العنصر الذي يُوجد مشاعر التنافر، فسيسمح لقطاعي إيرلندا الشمالية بالمشاركة في هذا التاريخ وهذا الجاذب التراثي.

حتى في المقاصد السياحية "السلمية"، فالآراء المتعارضة للمساحات قائمة. على سبيل المثال، اختلاف وجهات النظر السياسية لمنطقة شلالات نياجرا، وهي مقسمة بالحدود الأمريكية الكندية، قد أنشأت مناظر طبيعية، واستخدامات أراضٍ ومعانٍ متناقضة للمكان في نياجارا (Timothy 2001c). الجانب الأمريكي سيئ السمعة بشأن الأراضي الصناعية المنبوذة والقذرة نتيجة للممارسات الطويلة المدى الخاصة بتشييد مصنع مجاور للشلالات، في حين يشتهر الجانب الكندي من الحدود بالمتنزهات والمشاهد المنظمة، نتيجةً لاختيارها كمتنزه إقليمي في القرن التاسع عشر. فسر كثير من المراقبين الخلافات الفكرية، التي أوجدت اثنين من تراث المناظر الطبيعية المتباينة أساساً في موقع واحد. وقد ناقش مكجريفي (McGreevy, 1991) أن الفرق، ينبع من المعنى الذي يحدده كل بلد للشلالات. بالنسبة لكندا، نياجارا مثل مدخل ترحيب: فهي منمقة ومشذبة. أما بالنسبة لأمريكا فإنها الشارع الخلفي؛ فهناك المرآب، حيث صف من صفائح القمامة. هذا هو المكان النفعي الذي لا نعني بتوجيه اهتمامنا له. نياجارا مثل الظلام أو الزقاق الخلفي للولايات المتحدة، وهو المكان المناسب للديوكسين والنفايات النووية، ولكن ليس للحدائق بالطبع (McGreevy 1991: 4).

تقسيمات التراث داخل مجموعة واحدة Heritage Divisions within One Group

في كثير من الأحيان داخل مجموعة واحدة واسعة من الناس، يحدث خلاف بين مختلف الفصائل التي تفسر تاريخها المشترك بطرق مختلفة؛ ولأن الكثير من المجموعات غير متجانسة، يتوقع اختلاف وجهات النظر (Graham 1994b; Kavanagh 1983). "لعدم وجود ثقافة واحدة مشتركة لجميع أفراد المجتمع الذين يعيشون داخل إقليم للدولة، فالقومية هي دائماً بناء مصطنع، أو خرافة فكرة أنشأها مفكرو الدولة" (Leong 1989: 358). في المناطق الحضرية خاصة، تميل قيم التراث إلى أن تكون ممثلةً لهذه الفئة الاجتماعية، التي في السلطة. فالمجموعة المسيطرة ليس بالضرورة أن تكون الأغلبية، ولكنها تضع المدينة بشكل نموذجي في قوالب وفقاً لانحيازها الواعي أو غير الواعي (Tunbridge 1984: 171). وهذا يؤدي إلى التنافر بين مختلف الجماعات العرقية بشأن تمثيل تراثها (Tunbridge 1998b: 102). وهذا هو الحال في المدن الكندية مثل مونتريال وأوتاوا، وبين الكنديين الإنجليز والفرنسيين، وفي معظم أنحاء كندا. يختلف المنهج التاريخي للكنديين الفرنسيين بعض الشيء عن منهج الكنديين الإنجليز (Tunbridge 1998b).

التراث المتوازي Parallel Heritage

الجانب الأكثر شيوعاً في هذا النوع هو الصراع الذي يحدث بين تراث السكان الأصليين والتراث الاستعماري. اقترح تونبردج (Tunbridge 1984) أن الجماعات السياسية المهيمنة في المجتمع، عادة ما تهمش تراث الناس المحرومين. هذا هو إلى حد كبير حالة العلاقات بين المستعمرة والمستعمرين فيها، حيث يقمع الاستعمار في معظم الحالات حق الأمة في التراث الوطني (Hinz 1990). وتعدّ أوضاع السكان الأمريكيين المحليين وسكان جنوب أفريقيا، التي ذكرت سابقاً، حيث تم حذف التاريخ لتحقيق الأهداف السياسية والقومية، مثالاً جيداً على ذلك. هذه هي طبيعة الاستعمار والمستعمرين. فالتاريخ في جوهره مزور أو مشوه لدعم نوايا الحكام (Gawe and Meli 1990).

غالباً ما تغض السياحة من مرتبة السكان الأصليين إلى الحد الهامشي في المجتمع، وتسوء العلاقة الاستعمارية بين الشعوب المهيمنة، والخاضعة (Ryan and Crotts 1997). هذا يؤثر على طبيعة التراث المعروض للسياح. على سبيل المثال فلمعظم السياح البيض والمقيمين الأوروبيين في زيمبابوي، يمثل متنزه ماتوبو الوطني منطقة غنية ذات جمال طبيعي وتراث سياسي، لأنه المكان الذي دفن فيه المؤسس البريطاني سيسيل روديس Cecil Rhodes المؤسس البريطاني لروديسيا (زيمبابوي اليوم). ومع ذلك يمثل هذا المتنزه، بالنسبة للسكان الأصليين رمز القومية العرقية، لأنه المكان الذي دفن فيه مزيليكازي Mzilikazi، وهو زعيم نديبيلي Ndebele مرموق (Ranger 1989). كما أن الاختلافات ملحوظة أيضاً في نيوزيلندا بين المواطنين الماوريين والسكان الأوروبيين (البيض). عادة ما يحدد التراث بين الأوربيين النيوزيلنديين بعناصر البيئة المبنية أو المناظر الثقافية – إن صح التعبير، بأن البشر منفصلون عن

الطبيعة. في حين يرى السكان الأصليون البشرية باعتبارها جزءاً لا يتجزأ من الطبيعة، ولذلك فالتراث هو جزء من كل لا يتجزأ، وتجربة حياة يومية معاشة (Hall and McArthur 1993a: 3).

في بعض الأماكن وقعت عدة مراحل من الاستعمار، مما أدى إلى تاريخ استعماري مختلف ومتداخل. في غانا على سبيل المثال، هناك دعوة لـ٥٠٠ عام من تاريخ قلعة ألمينا، وهو مكان رئيس على طريق الرقيق، ليكون مُمثلاً ومُفسراً بأكبر قدر ممكن من الدقة (اللوحة رقم ٨,١). ومع ذلك، فإن هذا يثير سؤالاً صعباً: ما الفترة التي ينبغي أن تعرض لمختلف أقسام القلعة؟ فقد تغيرت وظائف كثير من الغرف مع مرور الزمن، وخصوصاً مع الاستيلاء المتوالي من قبل القوى الأجنبية: البرتغال، ثم هولندا، وتليها بريطانيا (Bruner 1996: 293). يفسر برونر (Bruner 1996: 293-4) الوضع المرتبك على النحو التالي:

> "ما القصة التي ينبغي أن تسرد؟ فمصالح خاصة ومشاعر قوية معنية بذلك. السياح الهولنديون مهتمون بقرنين من الحكم الهولندي في قلعة ألمينا، والمقبرة الهولندية في البلدة، والمباني الهولندية الاستعمارية القديمة. ويريد السياح البريطانيون أن يسمعوا عن الحكم الاستعماري في جولد كوست. وكثير من شعب الأشانتي لديهم اهتمام خاص بالغرف حيث ... سجن ملكهم ألمينا في سجن القلعة في العام ١٨٩٦م، بعد هزيمة قوات الأشانتي من قبل الجيش البريطاني. نفي الملك في وقت لاحق إلى جزر سيشل، ولم يعد إلى غانا إلاّ في العام ١٩٢٤م. وهو مهم لجميع الغانيين باعتباره رمزاً لمقاومة الاستعمار البريطاني".

لحل هذا النوع من المعضلات يناقش لونجستريث (Longstreth 1992: 224): "إن ما هو مطلوب هو نظرة تكاملية، وشمولية للماضي، تبدو بالقدر نفسه من الجدية في جميع الفترات، والمراحل، والحلقات، ظاهرة قد أوقفت دورانهم".

الدعاية والمكان: إبداع الصور من خلال التراث
Propaganda and Place: Creating Images through Heritage

من الشائع لرؤساء الحكومات الاستفادة من التراث بشكل أو بآخر، لتشكيل الرأي العام، ولبناء القومية، وإيجاد صور تعكس مثلهم السياسية العليا. وعادة ما يفعل ذلك بشكل نموذجي من خلال تدمير التراث أو نسيان (مثل أمثلة أوروبا الشرقية التي وصفت في وقت سابق)، وإيجاد ماضٍ لا نظير له (مثل أمثلة الأصالة الإبداعية التي تم وصفها في الفصل السابع)، والتلاعب في التاريخ والتراث؛ وهو محور هذه الفقرة.

اللوحة رقم (٨,١). قلعة الرقيق في ألمينا، غانا.

يستخدم التراث وأشياؤه المادية كوسيلة لتأكيد الهوية الوطنية وتعزيزها لدى السياح والمواطنين (Hobsbawm and Ranger 1983; Light 2000a; McLean 1998; Rogers 1996). بناءً على هذا الرأي وأفكار قمع التراث، أكد جراهام وآخرون (Graham *et al.* 2000: 12) أن "الدولة القومية تتطلب بناء تراث وطني لأسباب متعددة". فهي تؤيد تعزيز هذا التحديد الوطني، بينما تمتص أو تحيِّد التراث المتوقع المتنافس للمجموعات أو المناطق الثقافية–الاجتماعية. هذا النهج مستخدم منذ فترة طويلة من قبل الدول المستقلة حديثاً، حيث حاول القادة توحيد الجماهير الوطنية الجديدة وإدارتها من خلال صنع مفهوم الأمة، وإبراز الهوية الوطنية وحب الوطن من خلال مناسبات خاصة، وإعادة الإبداعات الثقافية، وتطوير كراهية الأجانب والازدراء تجاه الطوائف العرقية الأخرى، وخاصة الفئات الحاكمة السابقة (Graham 1996; Hall 1998; Howell 1994; Leong 1989). وتعدّ جوانب التراث مثل: الأساطير، والحرف اليدوية، والأغاني الشعبية، والحياة الفولكلورية جزءاً من العناصر الكامنة للهوية القومية، التي كثيراً ما يتم استغلالها. أنشأت بعض الدول المتاحف الفولكلورية في محاولة لصيانة الثقافة والهوية القومية، لهذا الغرض على وجه التحديد، كما هو الحال بالنسبة لمتحف الفولكلور بويلز، الذي يهدف إلى "إعادة إعداد" المناطق الريفية بويلز للسكان الويلزيين (Gruffudd 1995).

وفقاً لأشورث (Ashworth 1990b)، تثير الحرب المشاعر القومية القوية. وهذا هو السبب في إبراز كثير من الدول لتراث الحرب، بما في ذلك ساحات القتال، والمقابر القومية، ومقابر الجنود المجهولين، وغير ذلك؛ لإيجاد شعور وطني جماعي. في فنلندا، تم تسليط الضوء على مشاهد الحرب وآثارها والنصب التذكارية، بل وتم إنشاؤها لدعم "السرد القومي" (Raivo 2000). ووفقاً لرايفو (Raivo 2000: 139) فإن هذه المواقع البارزة من الماضي القومي لا

تخبرنا كثيراً عمّا حدث حقيقة في الماضي لأننا يجب أن نتذكر هذه الأحداث ونحيا ذكراها. عزز هذا النوع من التراث الروح الوطنية والذكرى لهدفٍ سامٍ. على هذا النحو، أصبحت ميادين القتال وغيرها من النصب التذكارية القومية مشاهد فكرية رمزية (Raivo 2000: 145).

في المقابل، كجزء من جهود بنائها للوطنية القومية، أوجدت الولايات المتحدة ماضياً مثيراً للإعجاب. وقد "مدده الأمريكيون، وأعادوا تفسيره، وأعادوا إبداعه" (Lowenthal 1977: 255). شأنهم شأن الكثير من الأمم، ضخم الأمريكيون السمات البطولية لأسلافهم وقللوا من الأخرى المخزية. "الماضي [في الولايات المتحدة الأمريكية] هو سرد زمني للعظمة أكثر من كونه سرداً لأحداث وأشخاص حقيقيين"، وكدعم مؤكد من قبل هوبسباوم ورانجر (Hobsbawm and Ranger 1983)، فقد رفض الأمريكيون البابا بينديكت أرنولد Benedict Arnold، و "المواقع التاريخية المرتبطة بجاي جولد Jay Gould، وبغايا الغرب المتوحش" (Lowenthal 1977: 261). وهكذا، تمت إعادة تركيب الماضي وإعادة صنع الحقيقة لإقناع المطلعين في الداخل بأن هذا هو التاريخ الحقيقي (Norkunas 1993). ووفقاً لمدير متحف المحرقة الأميركي، فحتى المحرقة قد تمت إعادة صياغتها لتعليم القيم الأميركية الجوهرية: التعددية، والديمقراطية، وضبط النفس على الحكومة والحقوق الفردية (وردت في Lennon and Foley 1999: 49). جرى ترويج التراث في دول أوروبا الوسطى والشرقية الشيوعية من قبل الحكومات لا لأغراض سياحية في حد ذاتها، بل لتنمية شعور الإنجاز والهوية لدى المواطنين في كل دولة (Hall 1998: 350).

يمكن أيضاً استخدام التراث في بناء الهوية أو الوحدة القومية السامية، كما هو الحال في الأوروبي، حيث تحاول اللجنة الأوروبية وهيئات أخرى (مثل المجلس الأوروبي) ترسيخ وترويج تراث أوروبي مشترك من أجل بناء الوحدة بين الدول الأعضاء (Ashworth 1995; Graham 1998b). غير أن هذا التراث، وفقاً لجراهام (Graham 1998b: 45)، لا يمكن أن يضم كل شيء مشترك لجميع أوروبا. وبدلاً من ذلك، يجب أن يشمل عدم تجانس الثقافات، وتسليط الضوء على مفاهيم التعددية الثقافية والتداخل، إذا كان ذلك للمصادقة على شرعية الاندماج في أوروبا. صعوبات كثيرة، ليس أقلها الهويات القومية الفردية، التي هي أساس التقاليد اللغوية والدينية تقف حجر عثرة في طريق جهود اللجنة، من أجل بناء الوحدة من خلال التراث المشترك (Tunbridge 1998a).

يستخدم التراث كثيراً لإيجاد الحماس الوطني، والصورة التي يمكن أن تتجاوز العالم. ناقش ماكّرون وآخرون (McCrone *et al.* 1995) هذا بإسهاب في سياق أسكتلندا. يتيح ذلك إيجاد صور في الخارج، فالصور المرغوب فيها تضفي مصداقية على الدول المستقلة حديثاً، أو الدول التي ترغب في إظهار صورة عالمية؛ لذا تستخدم الدول السياحة والتراث والسياحة التراثية للتلاعب أو لتغيير مفاهيم الناس عنهم (Leong 1989; San Roman 1992). الصين مثال مثير للاهتمام، حيث تكهن بورتر (Porter 1997) باستخدام البلاد المحتمل لماكاو بعد عودتها في العام ١٩٩٩م؛ لإيجاد صورة السلطة وهزيمة الاستعمار البرتغالي أو الوفاق عبر القومية.

سياسات التراث في سنغافورة: دراسة حالة
Case Study: Heritage Politics in Singapore

أسفر التنوع الثقافي والتاريخ الاستعماري في سنغافورة عن وجهات نظر متعددة للتراث. وقد تأثرت مختلف المجتمعات بطرق مختلفة، مما أدى إلى تعقيدات في معاني التراث ومفاهيمه. على سبيل المثال، كل من الطوائف العرقية المهيمنة – الملايو والصينيين والهنود – لها تجربتها الخاصة مع الحرب العالمية الثانية والاحتلال الياباني، وتؤمن الأجيال الشابة في كل هذه المجتمعات، أنها ذات صلة قليلة بحياتهم (Henderson 1997: 40). وقد أدى هذا إلى تفسيرات مختلفة للحرب، وتطور جواذب سياحية عدة متعلقة بالحرب تخدم مختلف العرقيات.

هذه الثقافات المتجمعة داخل هذا البلد الصغير، أوجدت مستويات وأنواعاً مختلفة من التراث المتنافر. ويعدّ العرق مصدراً رئيساً للتوتر في هذا الشأن، خاصة بين الهنود والصينيين. تنص السياسة القومية على أنه بغض النظر عن العرق، فأي شخص يتحمل ذلك فهو موضع ترحيب في الهند الصغيرة، مما أدى إلى إنشاء كثير من التجار الصينيين متاجر لهم. لا يحبذ التجار الهنود عموماً مثل هذه الفكرة؛ لأنهم يشعرون أن الهند الصغرى هي "فضاؤهم"، الذي من شأنه أن تفسده المتاجر الصينية. هذا الموقف تغذيه المعرفة بأن غالبية سكان سنغافورة هم صينيون، وأن الهند الصغيرة هي إلى حد ما ملاذ للأقلية الهندية (Chang 1999). ظهر التوتر بين المجموعتين على مرّ السنين؛ لتضارب الآراء حول من يمثل "المواطن الداخلي الحقيقي" (Chang 1999: 96).

إن تلاعب القطاع العام بالتراث لإيجاد صورة وغرس القومية أصبح أيضاً جزءاً من سياسات التراث في سنغافورة (Chang *et al.* 1996). في الواقع، فإن الكثير من تراث الدولة قد دمر ثم أعيد بناؤه ليتناسب مع الفكرة المثالية لما ينبغي أن يكون.

بحلول نهاية العام ١٩٩٣م، تم هدم جميع القرى الريفية في سنغافورة ونقل سكانها إلى شقق شاهقة الارتفاع. وعندما تم هدم آخر قرية في أيار/مايو ١٩٩٣م، فإنها مثلت "نهاية التراث الريفي للدولة وطريقة الحياة التي سبقت وصول السير ستامفورد رافلز في العام ١٨١٩م ... وكما تم الحكم على الزراعة بأن لا تحقق أقصى استفادة فعّالة من أرض محدودة المساحة، تحول تركيز الدولة إلى الصناعات التحويلية" (Powell 1997: 86). كانت إعادة الهيكلة الاقتصادية سريعة، ولذلك لم تسمح بالكثير من الوقت لإثارة الحنين إلى الوطن في هذه الحالة. تم هدم مباني تاريخية جميلة كثيرة بما فيها فندق إديلفي (بني في الثمانينيات من القرن التاسع عشر)، وأركيد (بني في العام ١٩٠٩م)، وقصر بانغليما برانغ (بني في العام ١٨٦٠م)، وسوق كاندانغ كيربوا. بالإضافة إلى ذلك، هدمت مؤسسة رافلز، وهي مدرسة أسسها السير ستامفورد رافلز نفسه في العام ١٨٢٣م، لتسهيل بناء مجمع رافلز سيتي، وهو مركز تجاري كبير (Powell 1997). بررت الحكومة هذا الدمار الشامل للتراث المحلي المختلط، والتراث

الاستعماري، بتركيزها الكبير على التحديث والتغيير التكنولوجي في التنمية الاقتصادية. في هذه العملية، أقنع القادة السنغافوريون أن التحديث السريع هو أفضل من الحنين إلى الماضي (James 1995; Powell 1997).

هذه المساعي لتخليص الجزيرة من تراثها المبني، عوضت في وقت لاحق ببناء تراث إبداعي جديد. على سبيل المثال، في العام ١٩٨٩م، تم بناء قري المالاي غير المأهولة من قبل مجلس الإسكان والتنمية لتمثل إعادة إنشاء مثالية لمجتمع الكامبونغ (Powell 1997). هذا مثال واحد على تقاليد وأماكن حقيقية حلت محلها أماكن وتقاليد مستنبطة ومستحدثة (Leong 1989).

مثال آخر هو المتنزه التراثي والثقافي الجديد لآسيا وسنغافورة الجديدة والذي شيد مؤخراً. تقوم هويته أساساً على مبادرة بقيادة الدولة بغرض إعادة وضع السياحة، وتحسين المنظر العام للمناطق الحضرية، وإيجاد هوية جديدة للسنغافوريين. تتحدث قصته عن بلد يعتز بتقاليده وحداثته. ويربط متحف الضواحي رحلة الدولة البحرية بالوطنية. ويحكي نهر سنغافورة عن الماضي الاستعماري للدولة والعلاقة التجارية لشعبها. ويصور تمثيل الهند الصغيرة والبارة الصينية مجتمعاً متعدد الثقافات يعيش ويعمل في وئام (Chang and Huang in press; Chang and Yeoh 1999).

عملت جهود أخرى منذ منتصف ثمانينيات القرن العشرين على تنشيط السياحة وإعادة لأحياء العرقية الرئيسية، والأحياء التاريخية لتعزيز "سحر الشرق وجماله" للجزيرة. ثم بذلت الجهود حالياً للتركيز على محاولة إعادة الكثير من الألوان المحلية التي كانت تقولب "الهند الصغيرة والبلدة الصينية" وغيرها من المدن والمناطق التاريخية قبل إعادة التطوير واسع النطاق، في ستينيات وسبعينيات القرن العشرين (Chang and Huang in press).

الحروب والصراعات
War and Conflict

قيدت الحروب والصراعات السياسية بالضرورة نمو السياحة التراثية. وقد أظهرت الدراسة أن أي قدر من الخلاف السياسي تقريباً سيؤدي إلى ركود رئيس في السفر العالمي، حتى في المناطق التي ليست طرفاً مباشراً في الصراع (Pizam and Mansfeld 1996; Sönmez 1998). السياحة هي صناعة متقلبة، والآثار المتبقية من الحروب اليوغوسلافية، على سبيل المثال، لها – حتى الآن – تداعيات طويلة الأمد في مجال التنمية السياحية. ما تبقى من الاتحاد السابق، والدول المستقلة الجديدة التي انبثقت عن انقسامه (مثل سلوفينيا، وكرواتيا، والبوسنة والهرسك، ومقدونيا) واجهت جميعها مشكلات يمكن أن تُعزا مباشرة إلى الحروب. حيث إنها لا تزال تعدّ إلى حد كبير من قبل المسافرين، أماكن خطيرة للزيارة (Panic-Kombol 1996) (اللوحة رقم ٨,٢). إضافة إلى نمو السياحة وتطويرها، قد تمنع الاضطرابات السياسية الحفاظ الفعال للمواقع التاريخية والأماكن التراثية، وكذلك تدمر المواقع والأعمال الفنية، التي تقوم عليها السياحة، خاصة عندما تكون هدفاً للتدمير من قبل القوات المتحاربة.

اللوحة رقم (٨,٢). علامات الحرب والصراع في موقع حج ميدوغوري، البوسنة والهرسك.

التراث كهدف Heritage as Target

لأن التراث المبني عادة ما ينظر إليه على أنه رمز للمجتمع، واعتزاز عرقي، ووحدة روحية الأمة واتحادها، فدائماً ما يستهدف الخصوم الأعمال الفنية والأماكن التاريخية بالتدمير كوسيلة لسحق الوطنية وحب الوطن والتضامن.

استخدم مصطلح "الإبادة الجماعية للتراث" من قبل تالي (Talley 1995) لوصف تدمير التراث عن طريق وسائل العنف. إن الاستهداف المتعمد لتدمير التراث لأغراض سياسية يتم وفقاً لتالي (Talley 1995: 59)، بالاندفاع البشري القاسي الذي لا يقاوم بشأن التدمير، أو "الدافع الأساسي لنشر الفوضى".

واحد من أحدث الأمثلة على الإبادة الجماعية للتراث، التي لاقت اهتماماً عالمياً، كان تدمير التماثيل البوذية في باميام بأفغانستان، في أوائل العام ٢٠٠١م من جانب حركة طالبان الحاكمة آنذاك. في حين أن هذا لم يكن نتيجة للحرب، أو حتى أي نوع من المعارك الدولية في حد ذاتها، بل كانت محاولة من جانب حكومة متطرفة لتنقية المشهد الثقافي في أفغانستان إلى مشهد يعكس التراث الإسلامي. وبذلك، دمر تراثاً للبوذيين إلى الأبد في هذه الرقعة من العالم، يمثل حقاً جزءاً مهماً من تراث العالم بأسره، على الرغم من الجهود العالمية المبذولة لإقناع حركة طالبان بعدم تنفيذ هذا العمل الوحشي (Ashworth and van der Aa 2002).

مثال بارز آخر على الإبادة الجماعية للتراث هو القصف اليوغوسلافي لدوبروفنيك، وهي مدينة تراث عالمية في جنوب الساحل الكرواتي، في العام ١٩٩٢م خلال الحروب اليوغوسلافية (Bumbaru 1992). دمرت كثير من أسطح المباني القديمة، مثل: الكنائس والمحلات التجارية والمنازل الخاصة، حيث استهدف مجتمع بالكامل. اليوم، معظم الضرر، عدا آثار طلقات الرصاص على الجدران، والنوافير، والشوارع المرصوفة، قد تم إصلاحه،

وعادت دوبروفنيك مرة أخرى مدينة تراث نشطة (اللوحة رقم ٨,٣). وكذلك جسر موستار الذي يعود للعصور الوسطى فوق نهر نيريتفا في موستار، في البوسنة والهرسك، وهو من مواقع اليونسكو، الذي استسلم لمصير مشابه، على الرغم من تدميره تماماً خلال تفكك الاتحاد اليوغوسلافي.

وتجري جهود حالية لإعادة بناء الجسر (اللوحة رقم ٨,٤) باستخدام الحجارة الأصلية التي انتشلت من النهر، وبتمويل من الاتحاد الأوروبي والمنظمات الدولية الأخرى. ولم يقتصر الأمر على تدمير التراث المادي لموستار، بل كذلك الهوية التراثية المشتركة للشعب، التي ستبرز للوجود مرة أخرى بعد عملية إعادة إعمار الجسر بالكامل.

اللوحة رقم (٨,٣). تجديد المدينة القديمة في دوبروفنيك عام ٢٠٠١م.

اللوحة رقم (٨,٤). جسر موستار المدمر وإعادة إعماره.

الإرهاب، أيضاً، هو قوة سياسية رئيسة لا تزال قائمة منذ وقت طويل جداً، ولكن جدد اهتمام العالم به في أعقاب هجمات ١١ سبتمبر في العام ٢٠٠١م على نيويورك وواشنطن العاصمة. كانت أيقونات تراث الولايات المتحدة السياسية والاقتصادية هي المستهدفة من قبل الإرهابيين الذين يحاربون ضد تراث الرأسمالية والتطبع بالغرب.

التراث كضحية بريئة Heritage as Innocent Casualty

حتى عندما تكون هياكل التراث ليست أهدافاً مقصودة للعنف السياسي، فإنها عادة ما تتضرر وتدمر كشواهد بريئة في طريق العنف. وخير مثال على ذلك هو معابد أنجكور وات في كمبوديا، التي تعرضت لأضرار كبيرة خلال الحروب الأهلية في هذه الدولة في سبعينيات وثمانينيات القرن العشرين، بصفة رئيسة من خلال أعمال التدمير المتعمد وليس أعمال القصف أو التفجير غير المتعمد. في الواقع هناك انفجارات قليلة نسبياً وقعت في المنطقة، ولكن ثقوب رصاص يمكن أن ترى في جميع أنحاء المجمع، وخاصةً في التماثيل والنقوش المنحوتة، التي سببها جنود مخربون لمجرد التمتع بالتدمير (Dauge 1997: 166). وقد سحقت كثير من تماثيل بوذا وغيرها، أو نسفت بالديناميت. هذا التدمير بدأ في العام ١٩٧٠م، عندما تم غزو أنجكور والسيطرة عليها بواسطة الخمير الحمر، وسرعان ما أصبحت واحدة من معاقل المتمردين. على الرغم من هذه الأعمال المأساوية التي أدت إلى أضرار جسيمة للموقع نفسه، كان واحداً من أهم تأثيرات الحرب هو استنزاف الموارد المالية الثمينة التي كان يمكن استخدامها للحفاظ على التراث (Timothy 1999a)، ولم تسمح بصيانة منتظمة لما يقرب من ٢٠ سنة؛ لأنها كانت محتلة بواسطة الفصائل المتحاربة، وكانت البيئة المحيطة بها ملوثة بالألغام الأرضية. ونتيجة لذلك، فإن كثيراً من أجزاء المنطقة غطي بالنباتات، وغُمر بالمياه، وتدهور بسبب هجر المكان (Dauge 1997; Hornik 1992; Wager 1995). بالإضافة إلى البقايا نفسها، فقد تم تدمير الطرق السريعة ومرافق الزوار بأنجكور، ويبدو الطريق إلى الانتعاش طويل، شاقاً ومكلفاً (Wager 1995).

ثمة نوع آخر من المعارك التي تنشأ بين الأمم، ولكنها لا تتخذ دائماً شكل القتال الفعلي، هي النزاعات الحدودية. تشمل الكثير من النزاعات الحدودية مباشرة الأماكن التراثية المهمة. لأكثر من قرن، دخلت تايلاند وكمبوديا في نزاع إقليمي يشمل "مجمع معبد بريا فيهير القديم" الذي يقع بالقرب من الحدود بين الدولتين. وهو واحد من أفضل الأمثلة على عمارة الخمير، وأحد أكثر المعابد روعة في جنوب شرق آسيا. المشكلة الرئيسة هي أن المعبد يقع في الأراضي المتنازع عليها بشدة بين البلدين، ولكل واحدة منهما ملكية مراقبة في بعض الأماكن. وقد تلا ذلك نشوء اشتباكات عدة على مرّ السنين، مما اضطر المجمع لتغيير الأوضاع في عدد من المناسبات بين التايلنديين والكمبوديين. في العام ١٩٦٢م، حدّد موقع الحدود الدولية بموجب قرار من محكمة العدل الدولية، الذي أكد أن المعبد يقع على بعد بضعة مئات من الأمتار داخل كمبوديا، حيث لا يزال حتى اليوم (St John 1994; Timothy 2001c).

الحرب كجاذب War as Attraction

كما نوقش باستفاضة في الفصل الثاني، تعدّ فترة ما بعد الحرب جاذباً رئيساً في كثير من أنحاء العالم؛ لأن الناس مهتمون بالكوارث التي من صنع الإنسان، والخسائر في الأرواح، وتدمير البيئات الطبيعية المبنية. وتعدّ سراييفو، في البوسنة والهرسك، خير مثال على هذه الظاهرة التي تحدث حالياً. فبينما لم تَعُدْ السياحة في سراييفو بعد، إلى الحد الذي كان عليه مستواها في السابق، قبل الحروب في أوائل تسعينيات القرن العشرين، فإن سياحة الحرب أمر يساعد على الحفاظ على الفنادق المحلية وغيرها من الخدمات التي ظهرت في الأوقات الاقتصادية المحبطة. وعليه، كان هناك نمو لسياحة "الهوس" منذ العام ١٩٩٥م، حيث يتتبع السياح مسارات المواقع المدمرة "للنظر إلى البقايا المادية للمعاناة البشرية" (Hall 1998: 351).

تم تطوير نوع مثير للاهتمام من سياحة الحرب في السنوات الأخيرة، يتمثل في عودة قدامى المحاربين إلى الأماكن التي قاتلوا فيها في أوقات الحرب. يجد هذا النوع من السياحة شعبية، خاصة بين المحاربين الأمريكيين القدامى الذين قاتلوا في فيتنام وكوريا وأوروبا الغربية (Smith 1996). وهناك ميزة إضافية فريدة وجديدة نسبياً لهذا الأمر، وهي جولات قدامى المحاربين الذين يعانون من اضطرابات عصبية لما بعد الصدمة. ويبدو، وفقاً لبعض البحوث، أن قدامى المحاربين قد يشفون من بعض الاضطرابات العصبية للحرب عن طريق زيارة المواقع التراثية التي قاتلوا فيها ويتعلمون أن يتعاملوا مع المخاوف التي أوجدتها فيهم هذه الأماكن (Watson *et al.* 1995).

مشاركة المجتمع المحلي في التخطيط والتنمية
Community Involvement in Planning and Development

إن قضية التخطيط المجتمعي التي نوقشت في الفصل الخامس، تعدّ قضية سياسية يجب أن تعالج من جديد باختصار في إطار سياسات السياحة التراثية. فالدرجة التي يسمح بها للمجتمعات السياحية بالمشاركة في التنمية والتخطيط السياحي وتشجع على ذلك، والحصول على منافع من النمو هي قضية سلطة. لا تشجع كثير من الحكومات والأنظمة السياسية في جميع أنحاء العالم هذا النوع من السياحة المجتمعية، في حين تحتاج إليها نظم أخرى. في جنوب أفريقيا، على سبيل المثال، يدرج تراث السكان الأصليين الأفارقة في تطوير السياحة التراثية فحسب (Goudie *et al.* 1996)، بل لم يدرج السكان الأصليون في أي شكل من أشكال اتخاذ القرارات، وعدد قليل منهم شُجع على المشاركة في السياحة من وجهة نظر الأعمال الحرة. استبعاد السكان المحليين من سياسة وصنع القرار والتخطيط كان نموذجاً تقليدياً في جميع أنحاء العالم، ولا يزال في الكثير من المجتمعات التقليدية (Saugee 1992; Timothy 1999c; Tosun and Jenkins 1998; Tosun and Timothy 2001)، على الرغم من أن هذا الوضع بدأ في التغير.

في الآونة الأخيرة، ركز الباحثون بشكل كثيف على هذه المسألة الخاصة بإشراك المجتمع المحلي، وقد ارتبط التركيز في مجال السياحة التراثية أساساً بمحنة السكان الأصليين. وقد أدرك الآن، أن مشاركة السكان الأصليين في التخطيط التراثي، وتنمية السياحة التراثية هو أمر حاسم. وبما أنهم هم الذين عادة ما يستبعدون من حفظ التراث وتفسيره، فمن المهم لهم بشأن المناخ التنموي اليوم التحكم في مصير تراثهم (Hall 1997). وفقاً لكيلان (Keelan 1993: 101)، لابد من تطوير الإستراتيجيات الإرشادية المتعلقة بتراث السكان الأصليين وفنهم وثقافتهم، على أساس الاعتراف بملكية السكان الأصليين للمنتج، ومشاركة الشعوب الأصلية في جميع مراحل التخطيط وعملية إعطاء المعلومات، ولاسيما أن عرض الثقافة والتاريخ يمكن أن ينتج عداواتٍ. إن دور السكان المحليين مهم، لأنهم يمكن أن يساعدوا مطوري السياحة التراثية لتقدير التاريخ المحلي وماضي الناس العاديين، وعلى نحو ما المساعدة على التقليل من تسليع الأماكن، أو المساعدة في معالجة تدمير الثقافات (Teo and Yeoh 1997: 210).

السكان الأصليون في أغلب الأحيان هم الأكثر معرفة بالأماكن والأعمال الفنية والتقاليد. وبالمثل، فإن تقاليدهم فيما يتعلق بالطبيعة في كثير من الأحيان تكون أكثر استدامة من تلك التي تم اقتراحها من قبل خبراء من الخارج. على سبيل المثال، "استدامة "الماوري" لها أساسها في النهج الروحي الميتافيزيقي ... فالاستدامة تتجسد في "الماوري" التي تحافظ على وجود الأشياء – إنها قوة الحياة، وجوهر حيويتها" (Cloher and Johnston 1999: 48). وقد قدم كوهر وجونستون (Cloher and Johnston 1999: 48) مثالاً تكون فيه الحرف اليدوية لـ"ماوري" حساسة للعمليات الإيكولوجية:

> "ويتضح ذلك في أنه، يجب قطع الكتان بدقة، بأخذ الأوراق الخارجية وترك بذورها الداخلية، سليمة. ويجب إعادة البقايا إلى النبتة الأُم تستعيد القدرة على النمو. ولذلك فإن لهذه النظرة بعداً أكثر من القيمة النفعية – لأنها تمثل المصدر الحيوي ... فالروحية تدخل في كل نشاط".

تروّج تقاليد "الماورية" الثقافية، والاجتماعية والاقتصادية بمختلف الطرق. تُؤكد الاستدامة الثقافية بالتعبير الثقافي، من خلال القيم والأخلاق والأضرحة والأماكن المقدسة، والطقوس، والأساطير والخرافات، والرقصات والأغاني، والفنون والاحتفالات. تُدْعَمُ الاستدامةُ الاجتماعية من خلال الممارسات التقليدية للرابطة الطائفة والقرابة، حيث تكون المصلحة الكبرى للمجتمع، أكثر أهمية من المصلحة الفردية، حيث إن النسب المشترك ينّمي الشعور بالانتماء. وتوجد الاستدامة الاقتصادية عن طريق "الاستثمار في المحبة"، حيث تقوم أساساً على بذل العطاء للقريب، فيشاركون بعضهم الغذاء والممتلكات، متسمين بالرأفة ويتقاسمون ما لديهم مع الآخرين الأقل حظاً (Cloher and Johnston 1999).

لسنوات عدة، استخدمت صورة "الماوري" لتسويق السياحة في نيوزيلندا. وكان "الماوري" يوضعون في الأدوار النمطية دون تشاور، أو منفعة تجارية (Barnett 1997: 471). اليوم تغير الحال، فقد أصبح لـ"ماوري" سيطرة أكبر على السياحة التراثية القائمة، التي تعتمد إلى حدٍّ كبير على ثقافتهم. ويعدّ "الماوري" أصحاب مصلحة راسخين في قطاع السياحة في نيوزيلندا. في العام ١٩٩٦م أشارت التقديرات إلى أن ١٥٣ عملية سياحية في نيوزيلندا يملكها، أو يشغلها "الماوري"، أو توفر المنتج "الماوريّ". وشملت هذه العمليات: التسلية والفنون والحرف، والتاريخ، وعرض الأعمال الفنية والجولات المصحوبة بمرشدين سياحيين (Barnett 1997). في أوسع مجالاتها، تشمل سياحة "الماوري" كل تجربة سياحية لثقافة "الماوري". وينظر لمنتج "الماوري" السياحي عموماً على أنه فرصة تقدم داخل المنتج السياحي؛ ليكون السائح على اتصال مع ثقافة "الماوري"، والتي مرّ بها في عامي ١٩٩٥-١٩٩٦م نحو ٣٦٪ من الزوار الدوليين لنيوزيلندا (Zeppel 1997: 475). اليوم، تعدّ السياحة التراثية وسيلة شرعية لنضال "الماوري"، من أجل الاعتراف السياسي والاقتصادي (Ryan and Crotts 1997).

الملخص والنتائج

Summary and Conclusions

تعدّ مسألة السياسات مهمة عند تناول التراث، وهذه العلاقة كانت محور هذا الفصل. في بعض الأماكن، كانت النبرة واللغة المستخدمة قوية وحاسمة، وكان هذا متعمداً، ففي جميع أنحاء العالم غالباً ما يعكس التراث فقط سيطرة أولئك الذين يحتلون مراكز سلطة في المجتمع. إنه يعود إلى ما تم تأكيده في الفصل التمهيدي من أن التراث انتقائي على أساس السلطة، ولمن تكون له القدرة على ممارسته ليلائم أغراضه الخاصة. كما يتضح في هذا الفصل، فقد أتاح هذا التشويه الاستبعاد والنسيان المتعمد لعناصر معينة من الماضي الوطني، سواء كان هذا قد تحقق من خلال عملية التعليم (التي هي في حد ذاتها أمر محزن للمجتمع)، أو تم القيام به لأسباب سياسية فكرية عليا. ومع ذلك، فإن ما بدأ يظهر هو مراجعة الماضي، حيث بدأت تُحكى قصص عن ماضي الأمريكيين الأصليين، والأفارقة والرقيق، على سبيل المثال، كجزء من التراث الوطني. سيكون من السذاجة عدم افتراض ارتباط ذلك الجزء من التفكير بالفرص المتاحة للسياحة التراثية. فما هو مهم، هو أن التراث قد بدأ يعكس قصة شمولية عن الماضي، بقدر ما يمكن أن يكون على علم به. وتقترح دراسة حالة جنوب أفريقيا أن هذه الدولة لا يزال أمامها طريق طويل في تمثيل منصف ومتوازن للتراث.

بسبب نوع هيكل السلطة التي كانت قائمة في أماكن كثيرة، فقد تحولت البؤرة الوطنية إلى محو أي شيء يُذكر بماض غير مرغوب فيه. هذا الواقع صحيح بالنسبة لبلدان أوروبا الوسطى والشرقية، وكذلك لألمانيا الحريصة على محو ماضيها النازي. في حين أن بعض الذكريات صعبة للمواطنين في هذه المناطق، فهناك خطر في أن المحو

السريع يمكن أن يؤدي لضياع بعض التراث إلى الأبد. قد يكون من الأفضل حفظ ذكريات هذه المرحلة من التاريخ كوسيلة لتجنب تكرار حدوثها في المستقبل.

كان التراث النشاز المتنافر مهم في المناقشة في هذا الفصل ؛ مما يثير تساؤلات حول التراث في الصراع بين مختلف الفئات الاجتماعية والثقافية. لا يمكن فصل التراث عن الهوية (Graham *et al.* 2000). وفي الحقيقة كثيراً ما يستخدم التراث في تشكيل هوية الدولة كما تبين من الأمثلة في هذا الفصل. وبالمثل، فللتراث دور يقوم به في بناء القومية، وتعزيز الهوية القومية والوطنية وبث الحماس، والتي ظهرت منها صور محببة أصبحت تباع الآن للسياح. تكمن القضية في مدى كون هذه الصور القومية تشويهاً للحقيقة، وإلى حد ما المدى الذي استخدم فيه التراث والسياحة التراثية للتلاعب بتصورات المكان كحالة سنغافورة التي تم تناولها.

مع الأسف، سيضيع الكثير من التراث الثقافي والطبيعي في المناطق التي تكون فيها الحروب والعنف، وهو أمر شائع الحدوث. وهو أمر مؤسف، لاسيما عندما يستهدف التراث عمداً لإزالة عناصر من ماضي مجموعة ما، أو حتى عندما يتضرر كضحية بريئة للحرب. وفي كلتا الحالتين، يجب تشجيع جهود الصيانة في أقرب وقت ممكن بعد الصراع، لضمان إنقاذ بعض العناصر. وكما اتضح هنا حيثما حدثت الإبادة الجماعية للتراث، تظهر رغبة متزايدة في إعادة بناء تلك الرموز التراثية، لأنها غالباً ما تكون انعكاساً للتراث الشعبي المشترك. أما بعض الناس فإنهم يعدون مناطق الحروب جاذباً سياحياً ؛ لأنها تتضمن نوعاً مختلفاً من التراث، وغالباً ما يكون نوعاً شخصياً لأولئك الذين قاموا بدورٍ في المعارك، أو جاذباً مرضياً للمهووسين الذين يرغبون في رؤية مواقع الموت والدمار.

وأخيراً، فالتراث مورد خاص بالمجتمع، ولذلك ينبغي أن تشارك جميع قطاعات المجتمع في تخطيطه وتنميته. في حين تُمْنَعُ بعض المجتمعات من المشاركة الكاملة من جانب فئات المجتمع المحلي، كان من المشجع، أن نرى في الآونة الأخيرة، السماح للشعوب الأصلية بصوت أقوى، حين يتعلق الأمر بالتراث وبطريقة عرضه، وتسويقه للسياح، وبذلك تستطيع الشعوب السيطرة إلى حد ما على تراثها ؛ لأن التراث في كثير من الأحيان مرتبط بالسلطة والتعسف في استعمالها، بهذه النظرة نخلص إلى نهاية لهذا الفصل.

الأسئلة Questions

١- لماذا يعدّ التراث مفهوماً سياسياً؟

٢- كيف أثرت ترتيبات السلطة في تشكيل السياحة التراثية؟

٣- هل يمكن إزالة عنصر "الخلاف" من السياحة التراثية؟

٤- كيف أثرت الحرب والصراع على التراث والسياحة التراثية؟

٥- ما فوائد تخطيط السياحة التراثية التي نقلت إلى المستوى المحلي؟

Further Reading مراجع لمزيد من القراءة

Hall, C.M. (1994) *Tourism and Politics: Policy, power and place*, Wiley, Chichester.

Hobsbawn, E. and Ranger, T. (eds) (1983) *The Invention of Tradition*, Cambridge University Press, Cambridge.

Leong, W.T. (1989) 'Culture and the state: manufacturing traditions for tourism', *Critical Studies in Mass Communication*, **6(4)**: 355-375.

Norkunas, M.K. (1993) *The Politics of Public Memory: Tourism, history, and ethnicity in Monterey, California*, State University of New York Press, Albany.

Shaw, B.J. and Jones, R. (eds) (1997) *Contested Urban Heritage: Voices from the periphery*, Ashgate, Aldershot.

Tunbridge, J. and Ashworth, G.J. (1996) *Dissonant Heritage: The management of the past as a resource in conflict*, Wiley, Chichester.